بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وبعد: هذه رسالة:

الاستقامة بعد رمضان

تمهيد:

في الأيام القليلة الماضية كنتم في شهر رمضان شهر البركات والخيرات، شهر مضاعفة الأعمال والحسنات، تصومون نهاره، وتقومون ما تيسر من ليله، وتتقربون إلى ربكم سبحانه بفعل الطاعات، وهجر المباح من الشهوات، وترك السيئات الموبقات، ثم مضت تلك الأيام وقطعتم بها مرحلة من مراحل العمر، والعمل بالختام، فمن أحسن فليحمد الله وليواصل الاحسان، ومن أساء فليتب إلى الله وليصلح العمل ما دام في وقت الإمكان.

واعلموا أن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، وإن الله تعالى إذا أراد بعبده الخير فتح له بين يدي موته باب عمل صالح يهديه إليه، وييسره عليه، ويحببه إليه، ثم يتوفاه عليه، وكل امرئ يبعث على ما مات عليه، فالزموا ما هداكم الله له من العمل الصالح، واحذروا الرجوع إلى المنكرات والقبائح، فليس للمؤمن منتهى من العباد دون الموت، قال تعالى: "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" [سورة الحجر:٩٩].

فنهج الهدى لا يتحدد بزمان، وعبادة الرب وطاعته ليست مقصورة على رمضان، بل لا ينقطع مؤمن من صالح العمل إلا بحلول الأجل؛ فإن في استدامة الطاعة وامتداد زمانها نعيماً للصالحين، وقرة أعين المؤمنين، وتحقيقاً لأمل المحسنين، يعمرون بها الزمان ويملأون لحظاته بما تيسر لهم من خصال الإيمان التي يثقل بها الميزان، ويتجمل بها الديوان.

أخي الكريم:

مضت أيام مباركات، قطعت بها مرحلة من مراحل العمر، من أحسن فيها فليحمد الله، وليواصل الإحسان، ومن أساء فليتب إلى الله، وليصلح العمل، ومن طلب أدلج، قيل للإمام أحمد رحمه الله زمن اشتداد محنة خلق القرآن: (متى الراحة؟ قال: عند وضع أول قدم في الجنة).

ولقبول العمل علامات، وللكذب في التوبة والإنابة أمارات،

فلقبول العمل علامات، وللكذب في التوبة والإنابة أمارات، فمن علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة عمل السيئة بعدها، فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها، وتكميلاً لها، وتوطيناً للنفس عليها، حتى تصبح من سجاياها وكرم خصالها، وأتبعوا السيئات بالحسنات تكن كفارة لها، ووقاية من خطرها وضررها...

١- قال تعالى: "إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّـيِّـَٔـاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذاكِرِينَ".

٢- روى أحمد والترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: [قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ].

فمن علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة السيئة تتبعها، فإتباع الحسنات بالحسنات علامة على قبولها وتكميلاً لها، وتوطينًا للنفس عليها، حتى تصبح من سجاياها وكريم خصالها، ويتبع السيئات بالحسنات تكن كفارة لها ووقاية من خطرها وضررها.

والاستقامة على الطاعة والاستمرار على التقيد بامتثال الأوامر واجتناب النواهي والزواجر هي صفات عباد الله المؤمنين،

قال تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ"

ولقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة وحثهم على ملازمتها، قال تعالى: "فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ".

والاستقامة مفتاح للخيرات، وسبب لحصول البركات، واستقامة الأحوال،

١- قال تعالى: "وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَـٰهُم مَّاء غَدَقاً"،

٢- روى مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، فقال: [قل: آمنت بالله، ثم استقم].

فاستقم أخي الكريم على طاعة مولاك في كل وقت وحين، فإن عمل المؤمن ليس له أجل دون الموت، ولا تكن من الذين يقبلون على الطاعات في زمن، ويعرضون عن ربهم في سائر الأوقات.

قال تعالى: "وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ"

سؤال أخي الكريم: هل بعد رمضان تركت الحسنة وأقبلت على السيئة؟

١= بئس العبد لا يعرف الله إلا في رمضان , إن كان الصوم المفروض قد انقضى فإن له الكثير من نافلة الصوم: فيسن صوم ستة أيام من شوال،

١- لخبر مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ]،

٢- وخبر ابن ماجه وأحمد عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: [مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ كَانَ تَمَامَ السَّنَةِ، "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا"]،

٣- وخبر أحمد عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ قَال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَسِتًّا مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ السَّنَةَ كُلَّهَا].

وفي هذا نتلمح الاستقامة والمداومة على عبادة الصيام، فليست الصيام الواجب في رمضان فحسب، بل هي عبادة مستحبة في غير رمضان، ويريدك الشارع الحكيم أن تواظب عليها عقب رمضان.

= وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَصُومَهَا مُتَتَابِعَةً فِي أَوَّلِ شَوَّالٍ عقب يوم العيد، فَإِنْ فَرَّقَهَا أَوْ أَخَّرَهَا عَنْ أول شَوَّالٍ جَازَ، لِعُمُومِ الْحَدِيثِ وَإِطْلَاقِهِ، هذا مذهب الشافعية، وَخَالَفَ في ذلك مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ، فقالا: يُكْرَهُ صَوْمُهَا، قَالَ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّإِ: (وَصَوْمُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ لَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ يَصُومُهَا, وَلَمْ يَبْلُغْنا ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ وَأَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ كَانُوا يَكْرَهُونَ ذَلِكَ وَيَخَافُونَ بِدْعَتَهُ, وَأَنْ يُلْحِقَ بِرَمَضَانَ أَهْلُ الْجَفَاءِ وَالْجَهَالَةِ مَا لَيْسَ مِنْهُ)أهـ، هَذَا كَلَامُ مَالِكٍ فِي الْمُوَطَّإِ، وَدَلِيلُنَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ السَّابِقُ وَلَا مُعَارِضَ لَهُ، وَأَمَّا قَوْلُ مَالِكٍ: (لَمْ أَرَ أَحَدًا يَصُومُهَا) فَلَيْسَ بِحُجَّةٍ فِي الْكَرَاهَةِ، لِأَنَّ السُّنَّةَ ثَبَتَتْ فِي ذَلِكَ بِلَا مُعَارِضٍ, فَكَوْنُهُ لَمْ يَرَ لَا يَضُرُّ، وَيَلْزَمُ عَلَى قَوْلِهِ إنَّهُ يُكْرَهُ صوم ستاً من شوال كراهية صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَعَاشُورَاءَ، لأنَّ فاعلها يُلْحِقُ بِرَمَضَانَ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَهَذَا لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ.

٢= بئس العبد عبداً لا يصلي قيام الليل إلا في رمضان ، ولئن كانت التراويح قد انقضى وقتها، فإن قيام الليل ما يزال مشروعاً مرغباً فيه ,

١- صح عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: [من قام في ليلة بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام في ليلة بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين]. وفي رواية [كتب من الذاكرين الله كثيراً].

٢- فيا عباد الله لا تكونوا كمن كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل, فقد صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل].

٣- وصح عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [نعم الرجل عبد الله، لو كان يقوم من الليل].

٤- وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [أيها الناس! افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحـــام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام].

٣= بئس العبد عبد حافظ على الرواتب والنوافل في رمضان فلما انقضى رمضان تركها،

عباد الله دونكم الرواتب فالزموها، وهي اثنتا عشرة ركعة, ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء,

١- ففي صحيح مسلم عن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: [من صلى لله في اليوم والليلة ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة]

٢- والوتر يا عباد الرحمن فلا تضيعوه, صح في المستدرك وصحيح ابن خزيمة عن علي بن أبي طالب عنــه صلى الله عليه وعلي آله وسلم أنه قال: [أوتروا يا أهل القرآن، فإن الله وتر يحب الوتر].

٤= بئس العبد عبداً كان حريصاً على ختم القرآن في رمضان، فلما انقضى رمضان أعاد المصحف إلى علبتــه الفاخرة، ثم وضعه على الرف

١- عباد الله كتاب الله فلا تضيعوه، قال تعالى: "وقال الرسول يا ربي إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً"

٢- وروى الترمذي عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ما أذن الله لعبد في شيء أفضل مـــن ركعتين يصليهما، وإن البر ليذر على رأس العبد ما دام في صلاته، وما تقرب العباد إلى الله بمثـــل مـــا خرج منه]، يعني القرآن.

٥= بئس العبد عبداً كان يحرص على ذكر الله تعالى في رمضان والتسبيح،

حتى كانت السبحة في يده لا تكاد تفارقه، يحركها أمامك وهو يكلمك، ويضعها على مكتبه وهو يحادثك، وإذا أحس أنك لم تلحظها في يده يكاد يرفعها فوق رأساً ملوحاً بها لك ليتأكد أنك قد رأيتها وعلمت أنه مسبح لله تعالى، ثم أين التسبيح؟

١- قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً"،

٢- وقال: "والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً".

٣- روى الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها ثم مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى].

٤- وروى أحمد عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أن رجلا سأله فقال أي الجهاد أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، قال: فأي الصالحين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص، ذهب الذاكرون بكل خير!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل].

٥- وروى الطبراني في الصغير والأوسط عن جابر رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ما عمل آدمي عملا أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى، قيل ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع].

٦- وفي المسند عن معاذ بن جبل أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله].

٧- وفي المعجم للطبراني وعن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل قال لهم إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: [أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله].

٦= بئس العبد عبداً عَمَّرَ المساجد في رمضان، لبس العباءة والطاقية والسبحة في يده، فكان لا يصلي إلا في الصف الأول، شيخ سجادةٍ يضعها على كتفه، شيخ زبيبة يحفرها على جبينه، ثم بعد رمضان أين هو وأين المسجد؟

١- ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفا وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة]

٢- وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة].

٣- وفي السنن والمستدرك للحاكم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له. قالوا وما العذر ؟ قال: خوف أو مرض].

٧= بئس العبد عبداً أمر نساءه في رمضان بالحجاب،

فألزمهن لُبْس الطرحة وترك المكياج وعدم الخروج من البيت متعطرات بصنوف البارفانات وعدم لبس الملابس الضيقة الفاتنة، فلما ذهب رمضان أذِنَ لهن في عكس ذلك.

٨= بئس العبد عبداً كان حريصاً على الإنفاق من ماله على الفقراء والمساكين وموائد الرحمن، فلما انقضى أمسك يده

١- عباد الله افعلوا الخير فلا تعدموه، قال تعالى: "وافعلوا الخير لعلكم تفلحون",

٢- وأنفقوا من مال الله الذي آتاكم وجعلكم مستخلفين فيه فإن لله ملائكة يقولون: ((اللهم أعطِ منفقاً خلفاً وأعطِ ممسكاً تلفاً))

٣- وقال تعالى: "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين".

٩= بئس العبد عبداً عَظَّمَ ربه في رمضان أن يعصيه بقول أو فعل، فلما انقضى رمضان سقطت هيبة الله في قلبه

١- عظموا الله بتقديره وإجلاله: "وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه",

٢- عظموه بتعظيم شعائره, قال تعالى: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب",

٣- عظموه بتعظيم حرماته: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فهو خير له عند ربه",

إن خيراً لكم عند ربكم أن تغضوا أبصاركم وتحفظوا فروجكم ذلك أزكى لكم إن الله خبير بما تصنعون.

إن خيراً لكم عند ربكم أن تكفوا عن أكل الحرام من الربا والرشوة والغش وأكل مال اليتيم وأكل أموالكم بينكم بالباطل,

إن خيراً لكم عند ربكم أن تنكروا على من فعل المعاصي وتدعوه إلى الكف عنها والتوبة منها,

إن خيراً لكم عند ربكم أن تعظموا حرماته بمعرفتها واجتنابها والتحذير منها والإنكار على الواقع فيها،

قال تعالى: "ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم".

أخي الكريم:

لا تغتر بما صدر عنك من طاعات في رمضان،

فلعلك صمت فأتممت، فأعجبتك نفسك، ولعلك قمت في التراويح والتهجد وتعبت فأعجبتك نفسك، ولعلك قرأت القرآن وختمت فأعجبتك نفسك، ولعلك اعتكفت في العشر الأواخر فأعجبتك نفسك، ولعلك الآن منتفشاً تمشي اليوم كما يمشي الصالحون متصنعاً مشيتهم، تظن أن أحداً لم يأتك قبلك بمثل ما أتيت، أو أن أحداً لن يأت بعدك بمثل ما أتيت، ولعل لسان حالك يقول: "يا أرض اهدي ما عليك قدي".

فلطمة على قفاك لتفيق: روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لن ينجي أحدا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، فسددوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا].

ففي هذا الحديث فائدة عظيمة: فمن ذلك أن العمل وحده لن يكفي للنجاة من عذاب الله عز وجل والفوز بجنة الله، بل لابد من الاضطرار إلى رحمة الله عز وجل وعفوه، فقد قال بعض السلف: ينجون من النار بالعفو، ويدخلون الجنة برحمة الله، ويتقاسمون الدرجات بالأعمال.

= فإن قال قائل قال الله تعالى: "وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون"، وقال تعالى: "كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية".

فالجواب: أن الباء المنفية في قوله صلى الله عليه وسلم: [لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله] هي باء العوض والمقابلة، فالعمل مهما كان عظيما لا يكفي للنجاة من عذاب الله والفوز بجنة الله عز وجل، حتى ولو كان أفضل العمل، وهو عمل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف يكون العمل مقابلا لجنة الله عز وجل، والجنة خلود في أعظم النعيم، وكم يعيش المؤمن في الدنيا حتى يكون عمله مقابلا لجنة الله، فالباء المنفية في الحديث هي باء العوض والمقابلة، كما تقول: أعطني كذا بكذا، فليس هناك عمل يساوي الجنة.

أما الباء في قوله عز وجل: "بما كنتم تعملون"، وفي قوله عز وجل: "بما أسلفتم في الأيام الخالية" فهي باء السبب، فالعمل الصالح سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، والسبب لا يستقل بنفسه، بل لابد من رحمة الله عز وجل وعفوه.

= فإن قيل: قال الله عز وجل: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم".

فالجواب أن الله سبحانه وتعالى خاطب العباد بما يتعارفونه بينهم، فقد جعلهم الله عز وجل بائعين في هذه الآية، كما جعلهم مقرضين في قوله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون". مع أن الذي يقترض يكون محتاجا، والله عز وجل هو الغني، وما سواه فقير إليه كما قال

تعالى: "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد". فلما كان القرض يرد مرة ثانية إلى صاحبه، والصدقة تعود على صاحبها، أوفر ما كانت في الآخرة، سمى الله عز وجل ذلك قرضا، مع أنه لا يشبه القرض في كل شيء، فكذلك هنا ندب الله عز وجل العباد إلى بذل نفوسهم لله عز وجل بما يتعارفونه بينهم، بجعلهم بائعين لنفوسهم، مع أنه لا يشبه البيع من كل وجه.

وكيف تكون الجنة ثمنا للعمل الصالح، والعمل الصالح والتوفيق له هو في حد ذاته نعمة من الله ؟؟؟

فالجنة والعمل كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين، ولهذا يقول أهل الجنة عند دخولها: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق". فلما اعترفوا لله بنعمته عليهم بالجنة وبأسبابها من الهداية، وحمدوا الله على ذلك كله، جوزوا بأن نودوا: "أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون".

فالله عز وجل يحب من العباد أن ينسبوا الفضل لله، والحمد كله لله عز وجل، وأن ينسبوا العيب والذنب إلى أنفسهم، فلما قال أهل الجنة هذه المقالة التي يحبها الله عز وجل: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق"، كان الجواب: "ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون"، فأثنى الله عز وجل عليهم بأعمالهم.

ومما يؤكد معنى الحديث كذلك أن تضعيف الحسنات إنما يكون بفضل الله عز وجل ورحمته، ومغفرة الذنوب والخطيئات، إنما يكون بعفو الله عز وجل ومغفرته، فإذا أراد الله عز وجل أن يرحم عبدا وهب له النعم، وغفر له السيئات، وضاعف له الحسنات، ولو بقيت له حسنة واحدة ضاعفها الله عز وجل له حتى يدخله الجنة، وإذا أراد شقاء عبد حاسبه على نعمه عليه هل وفّى شكرها، فلا تفي جميع أعمال العبد الصالحة في وفاء شكر بضع نعم الله عز وجل على العبد فتبقى بقية النعم بلا وفاء، بالإضافة إلى الذنوب والمظالم، فلابد أن يهلك العبد.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: [من نوقش الحساب عُذّب]، وفي رواية: [من نوقش الحساب هلك].

فإذا أراد الله عز وجل نجاة عبد عامله بفضله، وإذا أراد هلاك عبد عامله بعدله، نسأل الله عز وجل أن يحملنا على فضله، وأن لا يحملنا على عدله.

قال بعض السلف: إذا بسط فضله لم يبق لأحد سيئة، وإذا جاء عدله لم يبق لأحد حسنة.

فالعمل والاجتهاد في الطاعة وحده لا يكفي للنجاة من عذاب الله والفوز بجنة الله عز وجل

كان داود الطائي يجتهد في العبادة والعمل الصالح، حتى قال محارب بن دثار: (لو كان داود في الأمم السابقة لقصّ الله عز وجل علينا من خبره). فلما مات رحمه الله قام ابن السماك بعد دفنه يثني عليه بصالح عمله ويبكي، والناس يبكونه، ويصدقونه على مقالته، ويشهدون بما يثني به عليه، فقام أبو بكر النهشلي فقال: (اللهم اغفر له وارحمه، ولا تكله إلى عمله، فمهما كان عمل العبد لو وكِل إليه هلك).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: فإذا تقرر هذا الأصل الشريف العظيم، وعلم أن العمل بنفسه لا يوجب النجاة من النار ولا دخول الجنة، فضلا عن أن يوجب في نفسه الوصول إلى أعلى ما في الجنة من منازل المقربين والنظر إلى

وجه رب العالمين، وإنما ذلك كله برحمة الله وفضله ومغفرته، فذلك يوجب على المؤمن أن يقطع نظره عن عمله بالكلية، وأن لا ينظر إلا إلى فضل الله ومنته عليه. فلا يغتر العبد بعمله، بل ييأس من نفسه وعمله، ويعلق قلبه بالله عز وجل، قال الله تعالى: "فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار". فالإيمان والهجرة والجهاد والشهادة لا يكفي بمجرده حتى يكفر الله عز وجل سيئات العباد، ويدخلهم الجنة فلا بد لهم من عفو الله عز وجل ورحمته. أهـ

قال بعض السلف: (الآخرة إما عفو الله أو النار، والدنيا إما عصمة الله أو الهلكة).

وكان محمد بن واسع يودع أصحابه عند موته ويقول: (عليكم السلام، إلى النار أو يعفو الله).

أخي الكريم:

اغتنم أوقات السير إلى الله عز وجل، والسير إلى الله عز وجل ليس سيرا بالأقدام، ولكنه سير بالقلوب، فقد يسبق العبد بقلبه ونيته من هو أكثر منه صلاة وصياما واجتهادا بالجوارح.

من لي بمثل سيرك المدلل تسير رويدا وتجئ في الأول

قال بكر بن عبد الله المزني: ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة وصيام، ولكن بشيء وقر في قلبه.

وقال رجل للتابعين: لأنتم أكثر صلاة وصياما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كانوا خيرا منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

فكان في التابعين من هو أكثر عبادة من الصحابة رضي الله عنهم كان في التابعين ثلاثون تابعيا لو قيل لأحدهم: القيامة غدا. ما استطاع أن يزيد شيئا، ولكن الصحابة كانوا خيرا منهم، فقد سبقوا من بعدهم بقوة يقينهم في الآخرة، وتقواهم وإخلاصهم وزهدهم، والأعمال تتفاضل بحسب ما في قلوب أصحابها من تقوى لله عز وجل.

قال أبو الدرداء: (يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم، كيف يغبنون به قيام الحمقى وصومهم، والذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين).

وقال بعضهم: (كم من قائم محروم، وكم من نائم مرحوم، هذا قام وقلبه كان فاجرا، وهذا نام وقلبه كان عامرا).

أخي الكريم:

إن الله جعل الدنيا سوقاً يغدو إليها الناس ويروحون منها، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، وإنما يظهر الفرقان ويتجلى الربح من الخسران يوم القيامة: "يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفّر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير".

والأيام أجزاء من العمر، ومراحل في الطريق إلى المستقر، تفنوها يوماً بعد آخر، ومرحلة تلو الأخرى، ومضيها في الحقيقة استنفاذ للأعمار، واستكمال للآثار، وقرب من الآجال، وغلق لخزائن الأعمال، إلى حين الوقوف بين يدي الكبير المتعال:

قال تعالى: "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد".

أخي الكريم: كان دأب الصالحين ولا يزال: خوفهم من عدم قبول الأعمال الصالحات التي تقربوا بها لله تعالى،

ففي سنن الترمذي وابن ماجه عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: [سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ "وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ" أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ]،

قال الحسن البصري: (أدركت أقوامًا لو أنفق أحدهم ملء الأرض ما أمن، لعظم الذنب في نفسه)،

فلا تثق بكثرة العمل؛ فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا؟، ولا تأمن ذنوبك، فإنك لا تدري أكُفِّرت عنك أم لا؟ والمعجب بعمله مخذول، وكم من عابد قد أفسده العجب،

قال عبد الله بن مسعود: (الهلاك في اثنتين: القنوط والعجب)،

ولذا كان من دعاء الصالحين: اللهم إنا نسألك العمل الصالح وحفظه،

قال الله تعالى: "وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ".

فاستعن بالله على نفي الإعجاب باحتقار الأعمال، وتذكر آلاء الله عليك، وكن على وجلٍ من زوال النعم عند تضييع الشكر،

روى مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: [كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِك مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِك، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِك، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِك، وَجَمِيعِ سَخَطِك"]،

قال سعيد بن جبير: (دخل رجل الجنة بمعصية، ودخل رجل النار بطاعة، قيل: وكيف ذلك يا سعيد؟! قال: عمل رجل معصيةً، فما زال خائفًا من فعلها، فأدخله الله الجنة بخوفه من الله، وعمل رجلٌ طاعة، فما زال معجبًا بها حتى أحبط الله عمله فدخل النار).

فاحفظ ما تعمله من الصالحات بالإخلاص، والإقرار الدائم بالتقصير، وطلب المغفرة والرضوان.

أخي الكريم: إن الخطايا مطوقة في أعناق الرجال، والهلاك يكون في الإصرار عليها، وما أعرض معرض عن طاعته إلا عثر في ثوب غفلته، ومن أصلح ما بينه وما بين الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق.
عن أبي جعفر السائح أنه قال: (كان حبيب أبو محمد تاجرًا يكري الدراهم، فمر ذات يوم فإذا هو بصبيان يلعبون، فقال: بعضهم لبعض قد جاء آكل الربا، فنكّس رأسه وقال: يا رب أفشيت سري إلى الصبيان، فرجع فجمع ماله كله، وقال: يا رب إني أسيرٌ، وإني قد اشتريت نفسي منك بهذا المال فأعتقني، فلما أصبح تصدق بالمال كله وأخذ في العبادة).

فإياك والمعاصي، فالعاصي في شقاء، والخطيئة تذل الإنسان، وتخرص اللسان،
قال أبو سليمان التيمي: (إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته).
فاتقوا الله عباد الله في سائر أيامكم، وراقبوه في جميع لحظاتكم، وتقربوا إليه بصالح أعمالكم، والتوبة إليه من معاصيكم وسيئاتكم.